فن الأرجوزة في التّراث الجزائري القديم
- إقليم توات أنموذجاً-

فتيحة عبد العالي.

طالبة دكتوراه- جامعة أدرار

الملخص: هذا الموضوع يلخص مفهوم فن الأرجوزة في الأدب العربي، وفي التراث الجزائري القديم بالتّحديد؛ ولقد خصّصنا " إقليم توات " بالدراسة النموذجية؛ لأنه يعدّ من أشهر الأقاليم التراثية نظماً وتأليفاً لفن الأرجوزة في الجزائر، وذلك خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، واستمر حتى القرن الثالث عشر هجري. لذلك نسعى إلى بيان تطور فن الأرجوزة في إقليم توات؛ من حيث إبراز: المفهوم والبِنيَة، والسّمات والأعلام.

Abstract

This research summarises the concept of the Art of *al-Urjuzah* an Arabic word which means the rythem in poetry in Arabic literature and in old Algerian heritage precisely. The region of Tuat is chosen as an example for this study because it is considered as one of the famous regions in this art in Algeria during the eleventh and the twelfth centuries HA، and continued until the thirteenth century. The paper attempts to illustrate the evolution of the art of *al-Urjuzah* in the region of Tuat through the concept and the structure، the features and its prominent figures.

مقدمة:

عرف تاريخ الأدب العربي عبر عصوره المختلفة، نشأة وتطوّر مجموعة من الفنون الأدبية، التي نبغ فيها الكثير من أعلام العرب؛ الذين أسسوا وحدّدوا السمات المميزة لكل فن منها، سواءً أكان ذلك في النثر أم في الشّعر، ومن أشهر الفنون الشعرية ظهوراً وتواتراً في التراث العربي القديم؛ "فن الرّجز" أو– الأرجوزة –؛ الذي استند إليه جهابذة العرب بالتأليف، والنّظم بغرض التّرويح عن النّفس، وتحقيقاً لأغراض أخرى أهمها سهولة التّعليم، ولِمَا لهذا الفن من سمات تدعو لذلك. ومنذ مطلع القرن السادس هجري تقريباً، ظهر هذا الفن في تاريخ الأدب الجزائري على الأصعدة المختلفة، وبتسميات واصطلاحات متباينة.

ومما سبق ذكره؛ فإن إشكالية الموضوع تتفرّع منها عدة تّساؤلات، تتمحور حول: ماهية الأرجوزة ؟ وفيم يتجلى مفهومها في الأدب العربي، وفي التراث الجزائري ؟، وما هي أهم السمات المميزة له في تاريخ الأدب العربي والجزائري – إقليم توات– ؟، ومن هم أشهر الأعلام النّاظمين على تواتر تفعيلاتها ؟. وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها اتّبعنا المنهج التالي:

مقدمة

أ. مفهوم الأرجوزة.

ب. بنية الأرجوزة.

ج. سمات الأرجوزة في التراث العربي والجزائري–إقليم توات–.

د. أعلام فن الأرجوزة في التراث الجزائري.

خاتمة.

أ. مفهوم الأرجوزة:

1. **الأرجوزة لغة:** الأرجوزة في اللغة:اسم مشتق من الفعل الثلاثي (رَجَزَ)، بمعنى اضطرب وارتعد وهو الرّجز. قال ابن منظور: « الرَّجَزُ: داء يصيب الإبل

في أعجازها، والرجز: أن تضطرب رجل البعير ارتعاد يصيب العجز والناقة في أفخاذها ومؤخرهما عند القيام »[1].

فهذا المفهوم يدل على أن الرجز يحمل في معنى حروفه الحركة والضعف المرتبطين بالاضطراب والارتعاد، وبين ذلك من خلال قوله: « رَجَزَ رِجْزاً، وهو أرجز والأنثى رجزاء وقيل ناقة رجزاء ضعيفة العجز إذا نهضت من مبْركها لا تستقل إلا بعد نهضتين أو ثلاث »[2].

وهذا القول يشير إلى أنّ الرّجز فيه تتابع للحركات أي: قيام وسقوط ثم قيام وسقوط وهو نوع من الاضطراب.

والرجز أيضاً: « كلمة مكونة من الراء والجيم والزاي، وهن من الحروف المجهورة، والجهر اضطراب الوترين الصوتيين وتحركهما واهتزازهما »[3]، هذا المفهوم صوتي يشير إلى أن الرجز يحمل في داله ومدلوله معنى الحركة والاهتزاز.

ومن هذه التعريفات يتضح لنا معنى الرّجز في اللغة على أنه: « تتابع الحركات، وهو ارتفاع الصوت بارتفاع خفيف وسريع، وذلك طبيعي في الرجز لأنه يقوم على التفعيلة الواحدة وهي تقوم بدورها على الحركة الدائبة»[4]. ومن هذا يكون الرجز لفظا مرتبطا بضعف حركة الإبل في أفخاذها، وفيه دلالة على خفة حركة الصوت عند ارتفاعه. فابن "منظور" أشار إلى مفهوم الأرجوزة في اللغة من خلال ربطه بمفهوم الرجز، وذلك عند قوله: « الرجز بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه يكون كل مِصراع مفرداً، تسمى قصائده أراجيز واحدتها أرجوزة، وهي كهيئة السجع، إلاّ إنه في وزن الشعر، ويُسمى قائله راجزاً كما يسمى قائل بحور الشعر شاعراً »[5]، أو يسمى « رجّاز ورجّازة »[1]، وأضاف مؤكداً قوله: « إنما

---

[1] – لسان العرب، ابن منظور(أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي)، مادة (رجز)، دار صادر – بيروت، مج5، ص349.

[2] – نفسه، ص352.

[3] – الأثر التعليمي للرجز، حسن محمد محجوب، سلسلة دعوة الحق، السنة الخامسة والعشرون، الإدارة العامة للثقافة والنّشر، العدد 241،1431هـ /2010م ص10.

[4] – مصطلحات فنية (الرجز)، عبد الهادي دحاني، رابطة أدباء الشام، www.odabaham.net 2014/11/09م، 16:10د.

[5] – لسان العرب، مادة (رجز)، ص350.

سمي الرجز رجزاً لاضطرابه تشبيهاً بالرّجز في الناقة، وهو اضطرابها عند القيام فما كان في جزأين فالاضطراب فيه أبلغ وأكد وهي الأرجوزة للواحدة، والجمع أراجيز »[2].

وهكذا قد أعطى "ابن منظور" المفهوم اللغوي للأرجوزة انطلاقاً، من مفهوم الرّجز؛ في كون الرّجز هو الوزن، والأرجوزة هي القصيدة التي تنسج على منواله.

2. **الأرجوزة اصطلاحاً:**

لقد اتّفقت وجهات نظر النقاد من القدامى والمعاصرين، حول وضع مفهوم الأرجوزة في الاصطلاح من مفهوم مصطلح الرّجز، بصفته فنا من الشعر له فنّياته وخصائصه، والذي عرف منذ عصر ما قبل الإسلام، فقد كان الرّجز هو: « الوزن الشعبي الذي ساد في العصر الجاهلي، وكان لا يتجاوز البيت أو الثلاثة »[3]. أما في العصر الإسلامي فقد أصبح بحراً « من بحور الشعر أصل وزنه مستفعلن ست مرات، ويأتي منه المشطور والمنهوك والمجزوء »[4]، مفتاحه:

في أبحُرِ الأَرْجَازِ بَحْرٌ يَسْهُلُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ.

وقد اختلفت وجهات نظرهم في مفهومه من حيث: سبب تسميته، أو طوله وقصره، أو من حيث معرفة أنواعه.

من ذلك، ما أورده "توفيق البكري" حين عرّف الرجز انطلاقاً من سبب تسميته وذلك قوله: « إنما سمي الرجز رجزاً، لأنه تتوالى فيه حركة وسكون ثم حركة وسكون يشبه بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن، ويقال لها حينئذ رجزاء»[5]. أي إن فن الرّجز يشبه الرّجز الذي

---

[1] الأثر التعليمي للرجز،، ص15.

[2] – نفسه، ص352.

[3]– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مادة (الربط)، كامل المهندس، مجدى وهبة، مكتبة لبنان – بيروت، ط1984،1م ص176.

[4] – الأثر التعليمي للرجز، ص10.

[5] – أراجيز العرب، توفيق البكري الصديقي، ط1، 1313ه، ص03.

يُصيب أرجل الإبل عند ضعف أعجازها. في توالي الحركات، وهذا المفهوم يستند إلى ما قاله ابن منظور.

ويقول" ابن رشيق" في مفهومه: « وقد خص بعض الناس بالرّجز المشطور والمنهوك، وما جرى مجراهما. وباسم القصيد ما طالت أبياته، وليس كذلك، لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطع »[1].

فـ"ابن رشيق" يعرف الرّجز انطلاقاً من مقارنته بالقصيد في الطول أو القصر، وهو يريد بهذا المفهوم الوصول إلى أن الأرجوزة قصيدة طالت أبيتها أو قصرت، والعكس ليس صحيح إلاّ بشروط بيّن ذلك نحو قوله: « فعلى كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت، وتسمى القصيدة أرجوزة، إلاّ أن تكون أحد أنواع الرجز »[2]. من هذا يُمكن أن تكون الأرجوزة قصيدة من حيث الطول أو القصر، وليس بالضرورة أن تكون القصيدة أرجوزة. إلاّ إذا كانت أحد أنواع الرّجز.

أما "مهدي لعرج" فيحدّد مفهوم الأرجوزة انطلاقا من مقابلتها بالقصيدة من حيث: الكم والنوع.

فمن حيث الكم: يرى أن « الرّجز عندما طُوّل أصبح بالإمكان، أن تتحدّث فيه عن الأرجوزة باعتبارها نصاً يشتمل على عدد من الأبيات، إذ لا بدّ في إطلاق مصطلح (أرجوزة) من حد أدنى من الأبيات قد يتجاوز العشرة، وقليلاً ما كان ذلك متوفّراً في بداية عهد العرب بالرجز »[3].

أما من حيث النّوع: « فالأرجوزة تعمل بعداً فنّياً لا مرية فيه، فإذا كان الرّجز وليد البديهة والارتجال، ونتيجة التّعبير عن مختلف حاجات الإنسان

[1] – العمدة في الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط2 1421هـ/2001م، ج1 ص192.

[2] – نفسه، ص 193.

[3] – المدخل إلى الأرجوزة العربية، المهدي لعرج، إفريقيا الشرق– المغرب، ط2011م، ص 67.

اليومية، حيث لا يتطلب الأمر إعمال فكر أو تقليب نظر، فإن الأرجوزة قد تحقّقت نتيجة الوعي بأهمية الشّكل الفني »[1].

وهذه الرّؤية تجسّد لنا أن الأرجوزة بصفتها فناً من فنون الشعر؛ لها ميزاتها وخصائصها الفنية تشبه القصيدة في الطول وتضمُّن الأغراض، وتختلف عنها في الشكل الفني وتضمُّن الموضوعات وهو ما كان يسعى "مهدي لعرج" إلى بيانه من خلال مؤلّفه هذا.

ومما سبق ذكره يكون مفهوم الأرجوزة في اللغة والاصطلاح، متطابقين في المعنى بالدلالة على الحركة والسكون أو الاضطراب والتّغيُّر من حال لأخرى.

3- نشأة الأرجوزة:

لا شكّ في أن نشأة الأرجوزة في الأدب العربي، قد ارتبطت بنشأة الشعر منذ العصر الجاهلي لأن « مختلف مصادر الشعر العربي القديم نجدها تروي الكثير من المقطوعات الرّجزية...، لكن هذه المقطوعات ليست من طبيعة واحدة وليس لها القصدُ والوظيفة نفسها؛ فمنها ما ارتبط بموضوعات الرّجز التّقليدية كالحداء والمتح وترقيص الأطفال وغيرها، ومنها ما بدأ ينتجه شعراء غلب عليهم الشّعر وبه اشتهروا بين الناس »[2].

ويُرجع بعض النّقاد نشأة الأرجوزة العربية إلى نشأة الشعر التّعليمي[3]؛ الذي يعدّ أحد أنواع الشعر العربي، إذ يُقصد « به الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب، وكذلك الكتب التي ينظموها فجاءت في حكم

[1] – نفسه، ص68

[2] – السابق، ص 82.

[3] – الشعر التّعليمي من الموضوعات التي ابتكرها الشعراء في العصر العباسي الأول، بتأثير اتساع الثقافة ورقي الفكر العربي، وهو نمط من الشعر المزدوج؛ الذي ينظم من بحر الرّجز، تتحدد القافية فيه في شطري كل بيت، شاع في البلدان العربية في القرن السادس، نظمت فيه الكثير من المتون العلمية، وأُلّفت لها شروح كثيرة. ينظر: تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات– الجزائر– المغرب الأقصى– موريتانيا– السودان، دار المعارف ص 429.

وأراجيز والقصائد؛ وهو ما يُعبّر عنه المتأخرون بالمتون المنظومة كألفية الإمام ابن مالك في النحو العربي، وفيها مما يجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها »[1].

هذا النوع من موضوعات الشعر قد اتّضحت معالمه في العصر العباسي، في حين تعود جذوره الأولى إلى نهاية العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي فيما يعرف بفن الرجز؛ فقد ظهر على شكل تآليف لبعض المقطوعات الرجزية على وزن بحر الرّجز، هذا ما أشار له "توفيق بكري" بقوله: « وقد كان الرجز هو ديوان العرب في جاهلية والإسلام، وكِتاب لسانهم وخزانة أنسابهم وأحسابهم ومعدن فصاحتهم ومواطن الغريب من كلامهم، ولذلك حرص عليه الأئمة السلف واعتنوا به حفظاً وتدويناً »[2].

هذا القول يبيّن مدى معرفة العرب لفن الرّجز منذ العصرين الأولين؛ إذ كان وقتئذ يمثل أحد ذخائر اللغة تجمع في الأنساب والغريب، مما زاده أكثر عناية وحفظاً. كما تشير بعض المصادر والمراجع أيضاً؛ إلى أن فن الأرجوزة ارتبط بفن الرّجز، بحيث تمثل الأرجوزة مرحلة النّضج لفن الرجز وللرجز إسهام في نشأة الأرجوزة.

وإذا نظرنا إلى بطون مصادر الشعر العربي القديم، وما جاءت به حول فن الرجز والأرجوزة نسجل أن: الإرهاصات الأولى لنشأة الأرجوزة كانت مع المقطوعات الرجزية التي يتراوح طولها بين عشرة (10) أبيات وعشرين (20) بيتاً تتمحور موضوعاتها حول: الحداء وترقيص الأطفال، والحرب، وهي موضوعات قد عرفتها العرب في العصر الجاهلي، ووظفها فن الرجز في التعبير عنها في أبيات معدودات لا تتجاوز الثلاثة بارتجال وبديهة.

وهو ما أكّده "عز الدين إسماعيل" بقوله: « والحق أن الرجز في استخدامه القديم في العصر الجاهلي، مكان أقرب موضوعات التّعامل بين الناس كالمفاخرات والمتشائمات والمتنافرات، والحداء وأغاني الرعاة والعمل وترقيص

[1] – الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق،دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1986م، ص329.

[2] –أراجيز العرب، ص 4.

الأطفال...إلخ، وكان الغالب عن ذلك أن ينطلق الشاعر في هذا الرجز دون سابق احتشاد له، ولكن وفقاً لما تمليه عليه اللحظة ومن أجل ذلك كان في أغلبه مقطوعات قصيرة ومن ثمّ كان الرّجز هو الوجه الشعبي – إذا جاز التّعبير– للشعر في ذلك العصر »[1].

فهي الصورة التي حاول الشعراء أن يعبروا بها عن شعبية الشعر الجاهلي، ولكن سرعان ما تطوّرت إلى فن شعري يصُبّ في قلب علمي تعليمي، عُرِف بعدها بالمنظومات أو الأراجيز.

وفي هذا الشأن يورد لنا "المهدي لعرج" مراحل نشأة الأرجوزة العربية، وبيّنَ أن أغلب تلبيات الجاهليين جاءت رجزاً أهمها: تلبية قبيلة جرهم؛ التي جاءت مقطوعاتهم الشعرية عبارة عن تلبيات جماعية، تتكون من اثني عشر بيتاً مطلعها: لَبّيْكَ مَرهوناً وَقدْ خَرَجْنَا وَاللهِ لَولاَ أَنْتَ مَا حَجَجْنَا

بهذه المقطوعات بدأت الأرجوزة ترتقي إلى عالم الفن الشّعري؛ فمن خلالها تمكّن الرّاجز التعبير عن موضوعاته – ترقيص الأطفال، الحرب – وأغراضه في الحياة اليومية.

وهذه الموضوعات قد جاءت على نسق واحد، وأسهمت في إدخال بعض السّمات الأسلوبية في قالب الأرجوزة، وبعض الأغراض موحية بالبعد التواصلي المباشر. وآراجيز الحرب بذكر بعض التحريضات المشجعة، أبعدتها عن الحياة اليومية بالتأثير في المتلقي. وفي هذه الفترة كانت تتكون من قسمين هما: المطلع والغرض.

وفي العصر نفسه عرفت الأرجوزة مرحلة تجاوز المقطوعات إلى مرحلة النصوص، وفيها حاول الشاعر الجاهلي تضمينها بعض الأغراض الفنية بعيداً عن الأعمال اليومية، وهو ما ظهر في أراجيز: "الأعشى"، "دريد بن الصّمة"، و" أحيحة بن الحلاج"، فقد تجاوزا فيها التعبير عن الحياة اليومية إلى التعبير عن

[1] – في الشعر العباسي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، 1994م، ص393.

الأغراض، واستعمال الأساليب ومخاطبة الطبيعة والنفس وذلك بأسلوب إبداعي فني.

ويرجّح بعض الدارسين نشأة الأرجوزة، وتطورها إلى نهاية هذا العصر بإسهام الحُداء؛ لأنه يعتمد أسلوب التعريض الذي يتيح فُرص التفاعل بين المرسل والتلقي، فقد كان « الرّجز يمثل عند العرب ما يسمى بالحُداء، وهو الأبيات القليلة التي يتغنى بها حادي القافلة في رحلتها الطويلة في عرض الصحراء الواسعة، وكانت الإبل ترتاح وتطرب لهذا الحداء أو الرجز أو الغناء، وتجد في السير وتنشط، وكان الحادي يعبر فيه عن حنينه إلى الأحبة الذين فارقهم وعن شوقه إلى الأوطان، كما »[1].

هكذا استطاع العرب أن يعبروا عن حنينهم إلى الأحبة، والتّعبير عن الشوق للوطن عند الرحيل عنهم بعيداً في متاهات الصحراء الواسعة. رغم هذا التطور إلا أن النّقاد يرجعون البداية الأولى لفن الأرجوزة، "لامرئ القيس" في الجاهلية من خلال إعطائها الشكل البنائي المركب الذي يتكون من المقدمة، والعرض. وتطورت مع "حُميد بن ثور الهلالي"، الذي جاء بأرجوزة ثلاثية الأبعاد تتكون من المقدمة والرحلة والغرض، في فترة البعثة النبوية، وازدهرت في العصر الأموي مع "العجاج" وابنه "رؤبة"، حتى بلغت أوجها في العصر العباسي بما يعرف بالأرجوزة التعليمية.

4.أنواع الأرجوزة:

أشار"ابن رشيق" فيما سبق إلى مفهوم الأرجوزة من خلال مقارنتها بالقصيدة، ونفهم من رأيه هذا إمكانية أن تدعى الأرجوزة قصيدة سواء طالت أبياتها أم قصرت، ومن ذلك، فإن "ابن رشيق" قد يميّز بين صنفين من الأرجوزة[2]:

- **الصنف الأول:** وفيه الأرجوزة ذات الأبيات الثلاثة، ويشمل ثلاثة أنواع وهي الأرجوزة: التامة السالمة، التامة المقطوعة المجزوءة السالمة.

[1]– مصطلحات فنية، الرجز، ص2.

[2]–ينظر: العمدة، ص 193.

النوع الأول: الأرجوزة التامة السالمة: سميت بذلك لتمام تفعيلاتها، وعدد تفعيلاتها ستة تامة.

النوع الثاني: الأرجوزة التامة المقطوعة: عدد تعفعيلاتها سته، سمّيت بذلك لاقتطاع التفعيلة الأخيرة من عجز البيت (مستفعلن) تصبح (مستفعل).

النوع الثالث: الأرجوزة المجزوءة: عدد تفعيلاته أربعة، لحذف العروض والضرب.

- **الصنف الثاني:** وفيه الأرجوزة ذات الأبيات القصيرة، ويشمل ثلاثة أنواع: وهي الأرجوزة المشطورة، المنهوكة المقطعة، أي التي على جزء واحدٍ.
- **الأرجوزة المشطورة:** عدد تفعيلاته ثلاثة، يحذف عجز البيت.
- **الأرجوزة المنـهوكة:** يتكون من تفعيلتن.
- **الأرجوزة المزدوجة:** وهو ما يستغني فيها الشاعر عن وحدة القافية في أبيات القصيدة من الرجز بالترصيع، وهذا النوع تكثر فيه العلل والزحافات. مثل أرجوزة ذات الأمثال لأبي العتاهية

التي مطلعها: إنّ الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

فالنوع الأول: من الرّجز« قليل في الشعر العربي، والأرجوزة فيه قصيدة واحدة سقطت صدور أبياتها وبقيت أعجازها (وقيل: كل شطر منها بيت من الضرب مشطور)، فلزمت كلها قافية واحدة وإلا لما جاز أن ينفرد منها أحياناً، شطر واحد »[1].

والنوع الثاني: و« تكون فيه الأبيات الشعرية مصرّعة، وكل مصراعين على قافية واحدة والأرجوزة من هذا النوع تسمى (المزدوجة) لسهولة نظمها».[2]

فبرُوز هذه الأنواع المختلفة في التراث العربي؛ توحي إلى تنوع ظهور هذا الفن عند العرب حسب الأغراض الإنسانية المطلوبة وقتئذ.

---

[1] –المعجم المفهرس في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1411هـ 1991م، ص 23، 24.

[2] – نفسه، ص24.

1. بنية الأرجوزة:

وإذا أردنا البحث عن البنية التي تأخذها الأرجوزة العربية، لوجدنا أنها تأخذ الشكل العام؛ الذي كانت عليه القصيدة العربية، منذ عصر ما قبل الإسلام حتى العصر العباسي، إذ تتكون: من مقدمة وموضوع (عرض)، فخاتمة، فقد بقيت محافظة على المعالم الشكلية للقصيدة التقليدية القديمة، محكّمة البناء؛ لأن « كل قصيدة طويلة نسبياً ذات مقدمة قد تطول وقد تقصر، ومدخل ينزلق منه الشاعر إلى موضوعه الرئيسي، ثم خاتمة ملحوظة سواء أكانت خاتمة للموضوع الرئيسي نفسه، خاتمة تقريرية عامة»[1].

فـ"عز الدين إسماعيل" يرصد لنا – من خلال قوله هذا – الشكل العام للقصيدة العربية – الأرجوزة – رغم التطورات والتجديدات الموضوعاتية؛ التي طرأت على العصر العباسي، فإنه لم يتغير شكلها ويشير إلى ذلك بقوله أيضاً: « ويمكننا –بناءً على هذا – أن نقول أن الأرجوزة في العصر العباسي وإن احتفظت في بعض الحالات بشكلها العام أو بنائها المحكم الذي وصلت إليه في العصرين الإسلامي والأموي»[2].

ولعله يقصد من قوله هذا أن: الأرجوزة بالرغم من أنها تعدّ موضوعاً جديداً من موضوعات العصر العباسي، إلاّ أنها لم تشهد تجديداً على مستوى الإطار، بل شهدته على مستوى المضمون؛ أي استخدام اللغة الموظفة فيها.

وهذا الأمر عدّه من التجربة الشعريّة التي «حلّقوا فيها من الدّعابة الهازلة والتّحامق والمجون إلى النّسيب، والغزل إلى الخمريات، والزهريات إلى العتاب والهجاء، والرّثاء إلى الرسائل الإخوانية، ومع هذا أن شكل المقطوعات الشعرية القصيرة، قد صار في العصر العباسي إطاراً فنّياً، له وزنه وله خطره في ذلك

[1] – في الأدب العباسي الرؤية والفن، ص387.

[2] – نفسه، ص394.

العصر، لأنه كان استجابة لذوق العصر من جهة وتحقيقاً لشعبية الشعر وسرعة تناقله دورانه على ألسن الناس من جهة أخرى»[1].

ولعله ما قصده أيضا "شوقي ضيف" حين قال: «ونحن بإزاء متون تؤلف لإزاء أشعار تصاغ وعبّر أصحابها عن حاجاتهم الوجدانية أو العقلية، فقد تطوّر الشعر العربي، وأصبحت الأرجوزة منه خاصة تؤلف من أجل حاجة المدرسة اللغوية وما تريده من الشواهد والأمثال... يتعلمونها ويعلّموها الناس وينقلونها في أذهانهم وينقشونها في عقولهم ليدلوا بها على مدى علمهم في اللغة العربية ومعرفتهم بألفاظها المستعملة والمهملة، وهذا يعني أنها شعر تعليمي»[2].

فـ" شوقي ضيف" يرى أن الأرجوزة شعر تعليمي موجه لعامة الناس، لا لخاصة الناس بما فيهم العلماء. وبما أن فن الرجز – الأرجوزة – قد استخدمه الرّجاز في معظم الأغراض الشعرية، وأكثرها الطرد والمدح، فإن البناء الفني للأرجوزة لا يخرج عن هذين الغرضين، وقد تبلور في الأرجوزة المدحية والأرجوزة الطردية[3].

أ/الأرجوزة المدحية: سمّيت بذلك؛ لأهمية غرض المدح فيما انتجه معظم الرّجاز والشّعراء العرب من هذا الفن، وقد ارتأوا إلى تطويل الأرجوزة، من خلال بنيتها التي تتكون من العناصر الآتية ذكرها: المطلع، المقدّمة، الرّحلة، الغرض، الخاتمة.

ب/الأرجوزة الطردية: وتعدّ من أهم أنواع الأرجوزة في التّراث الشّعري؛ لأن موضوع الطّرد فيها يأتي عرضاً للقصائد الشّعرية القديمة، وفي آواخر القرن الأول للهجرة، بدأت تظهر بوادر استقلالها، وذلك فيما أبدعه "دكين بن رجاء الفقيمي" و"حميد الأرقط"، وتمّ اكتمالها مع مجموعة من الشّعراء، أمثال: "أبو نواس" و"أبو

---

[1] –السابق، ص 365.

[2] – التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط10، (د.ت)، ص 319.

[3] – ينظر: موقع الألوكه: خاتمة كتاب بنية الأرجوزة، http://www.alukah.net/Literature_Language، يوم:03 /2014/03م

نخيلة" و"ابن المعتز" والناشئ الأكبر...وغيرهم. وتتمثل بنْيَتها في مايلي: المطلع فضاءالصّيد، وسيلة الصّيد، الطريدة الصّراع، الخاتمة.

ومن خلال عرض هذين البِنيتِين لشكل الأرجوزة، نجد أنهما يتحدد فيهما الإطار العام للأرجوزة وهو: مقدمة، عرض، وخاتمة.

ج. سمات الأرجوزة: يمكن تحديد سمات الأرجوزة من سمات فن الرجز[1] أهمها:

1. الرجز شعر مرتجل يُؤدى بكلام قصير موزن متوالي القافية بصوت رفيع، وتمتاز كلماته بقلة الحروف والأصوات، وقلة أبياته وقصرها إضافة إلى الخفة والسرعة.
2. تأتي قصائده مشطورة ومنهوكة، وهما: الضربان الأكثر تداولًا، لأنها تفتقد لصفتي الطول، وتمام البيت.
3. يعتبر – الرّجز–أسلس البحور وأسهلها للنظم، ذا قابلية عظيمة في الاتساع والتطويل والشمول، له قدرة فائقة على دقة التعبير في شتى العلوم والمعارف والفنون، ذو بساطة إيقاعية جعلته أداة طيعة في التعبير»[2].

فهذه الخصائص تمثل الوجه العام لخصوصية فن الرّجز، فما هي السمات الخاصة بفن الرجز في نظم أعلام الجزائر– إقليم توات–؟. وهذه الخصائص قد حدّدها " أحمد جعفري" عامة في أقليم توات، من حيث الشكل والمضمون[3]، فمن حيث الشّكل نجد:

1. **المقدّمة:** وهي أنواع: غزلية طللية، أو مقدّمات الحب النبوي، أو مقدّمات عامة.
2. **العرض:** وفيه تكون القصيدة متضمّنة لغرض شعري واحد محدّد، أو لمجموعة من الأغراض الشّعرية الأخرى.

---

[1] – ينظر: مصطلحات فنية، عبد الهادي دحاني، ص2.

[2] – الشعر التعليمي وخصائصه، ونشأته في الأدب العربي، جواد غلامعلي زادة، كبرى روشنفكر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 14(2) 8/2007 142، ص51.

[3] – الحركة الأدبية في إقليم توات من القرن 7 ه حتى نهاية13ه أعلامها مواطنها ومساراتها مظاهرها وخصائصها الفنية،أحمد جعفري منشورات الحضارة، ط1، 2009، ج2، ص 53–93.

3. **خاتمة:** وفيها يعتمد الشاعر على تضمين قصيدته لغرضي الدّعاء والتّوسل لله عزّ وجل من أجل تحقيق رغباته ومراده بعد التّجوال الطويل في عرض أغراض قصيدته.

ومن حيث الموضوع نجد الخصائص التّالية:

1. **السهولة والبساطة:** وذلك من خلال التّعبير عن المعاني بألفاظ وتراكيب سهلة بعيدة عن الخيال والتّصوير المعقّد، والرّمز الغامض.

2. **الاقتباس:** من القرآن والحديث النبوي الشّريف، الشعر، الأمثال والأقوال المشهورة.

3. **التكرار:** تكرارالمعنى الواحد في القصيدة الواحدة بغرض التوكيد.

4. **طول النّفس:** تتجلى هذه الخصوصية في نظم قصائد طويلة ذات الموضوع الواحد أو مختلفة الموضوعات.

5. **التسميط:** بمعنى يقسيم البيت إلى أجزاء عروضية مقفاة من غير روي القافية.

6. **الإيقاع:** ويعدّ أهم خصائص هذا الفن، لأن شعراء الأقليم قد جعلوا من وزن الرّجز إيقاعاً خاصاً لنظم أراجيزهم التّعليمية.

7. **وحدة القافية:** والمقصود به نظم القصيدة على روي واحدٍ، وتكون قافية أو رائية أو نونية.

8. **التأريخ للقصائد:** يلجأ له الشاعر التواتي بغرض التأريخ للنّظم أو لتأريخ سنة وفاة المراثي.

9. **تسمية القصائد:** حيث يختار الشاعر التواتي لنظمه اسماً خاصاً يُعرف به خلافاً، لما مع أصّل المتن، مثل تسمية نظم " العبقري" لابن أبّ المزمري، وكذلك تسمية نظم الجرومية بنزهة الحلوم في نظم منثور ابن أجروم، وكذلك نجد ابن الونان التّواتي الذي سمّى قصيدته افتخاراً له بالشّمقمقية دلالة على طولها وطرافة بعض معانيها.

10. **تعريف الشاعر بنفسه داخل القصيدة:** وفيه يلجأ الشاعر التواتي إلى ذكر اسمه وسم والده ونسبه وموطنه أحياناً: وقد لاحظنا ذلك جلياً في نظم أرجوزته الشّمقمقية، فالشاعر يعرّف بنفسه داخل القصيدة، ويفتخر بالصفات التي تميّزه وهي:الأستاذ الشيخ الفقيه نحو قوله:

وهلْ أنا إلاَّ ابنُ وَنَّانَ الذي = قَرَّبَهُ كَمْ منْ أميرٍ مُرْتَقِ

وهذه الخصائص قد طبعت الشعر التّواتي في الإقليم، إذا كانوا مقلدّين من حيث الشكل، ومجدّدين من حيث المضمون.

ج– أعلام فن الأرجوزة في الجزائر:

حدّد بروكلمان فئة الشعراء الرّجاز في العصر الجاهلي والأموي، حيث يصوّر لنا حالة شعر الرجز كيف كان في الجاهلية، وكيف أصبح العصر الأموي نتيجة الإبداع والتطور، وهذا دليل على على أنّ الرّجاز كانوا يمثلون جماعة أبدعوا في الشعر العربي، وزادوا من تثمين اللغة العربية بألفاظ جديدة (غريبة، وأخرى وحشية)[1].

فهم الذين أعطوا لشعر الرّجز حقّه من الخصائص والموضوعات. وقد خُصّ بذلك فئة الرجاز في المشرق العربي في العصرين الأموي. فماذا عن فن الأرجوزة، وفئة الرُّجاز في المغرب العربي، وبالأخص في المغرب الأوسط (الجزائر)، وفي إقليم توات بالتّحديد ؟.

كما هو معروف عن تاريخ الأدب العربي، أن الفترة التي تلت العصر العباسي هي: فترة العصر الأندلسي، فكانت من أزهى وأرقى عصور الأدب العربي، وفي بداية العصر العباسي «أخذ بعض الشعراء ينظم في التاريخ وبعض العلوم وفي مقدّمتهم " أبان بن عبد الحميد"؛ الذي ترجم عن الفارسية قصص كليلة ودمنة، وقد اقترح له هو معاصروه نمطاً مستحدثاً من الشعر هو نمط الشعر المزدوج الذي ينظم من وزن الرّجز... وأخذ هذا النمط من الشعر التعليمي يشيع

[1] – تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النّجار، دار المعارف، (د،ط)، (د،ت)، ج1، ص225.

في البلدان العربية منذ القرن السادس... وشارك علماؤنا في نظم المتون وفي شرحها وأكثروا من نظم مسائل الفقه واللغة والنحو والتصريف وكان للمغرب الأقصى في ذلك مشاركة خصبة»[1].

في هذا القول إشارة إلى بداية الشعر التّعليمي في العصر العباسي الأول، في نظم العلوم المختلفة ومحاولة تقريبها من طالبة العلم قصد فهمها وحفظها، ومن ثَمّ تطوره إلى نظم المتون في مجال الأدب واللغة. من خلال نظم المنثور أو التأليف على بحر الرّجز مباشرة. وهي سمة سار عليها علماء المغرب في تأليف أشعارهم ثم اتباعها بالشرح أو الاختصار، أو التعليق. وهكذا « قد رسخ هذا الفن في الشعر العربي وأصبح أحد موضوعاته منذ العصر العباسي، ولم تكن الجزائر بمنأى عن المشرق»[2] في نظم المتون اختصاراً؛ لفهم العلوم وتدارسها، وبذلك عُرف فن الأرجوزة في الجزائر بالمنظومات الشعرية سواءً نظمت على بحر الرّجز أو نظمت على بحور أخرى.

هذا ما بيّنه "لحبيب عبللة" حين عرض تمهيداً عن النّظم العلمي في الجزائر، مبيناً فيه أهم علماء النظم التعليمي في الجزائر وتطوره عبر العصور.

والملاحظ على تلك المنظومات أنها جاءت كلها تقريباً، نظماً لعلوم أخرى خاصة في المسائل الدّينية واللغوية لعلماء المشرق، وحاول المغاربة الجزائريون تسهيلها لطلبة العلم حفظاً وفهماً، دون تعبٍ أو تكليفٍ. مثل نظّم ابن النحوي[3] في قصيدته (اليوسفية).

---

[1] – شوقي ضيف، ص429.

[2] – المنظومات اللغوية في توات (النحوية والصرفية والعروضية) أنموذجاً، مذكرة ماجستير، لحبيب أعبللة، إشراف الطاهر مشري، السنة الجامعية 2009–2010م، ص60.

[3] – هو الشيخ يوسف بن يوسف التوزري الأصل، أبو الفضل، المعروف بالنحوي من أهل تلمسان، من مواليد 433هـ/1041م، وتوفي عام 513هـ/1119م، ينظر: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت– لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ص329.

ويحي بن عبد المعطي[1]، فقد كان السابق إلى نظم الألفية في القرن السابع هجري. أمّا في إقليم توات، فنجد من علمائه، من أدلى بدلوه في هذا المجال، وأسهم في تطور الحركة اللغوية فيه، من القرن الثالث عشر هـ رغم الصّعاب والمشاق التي شهد الإقليم وقتئذٍ، وقد اختصت المنطقة بالنّظم في أدب الأرجوزة؛ إذ عُرفت حينها بالمنظومات اللغوية، أي نظم المنثور. ومن أعلام هذا الفن في الإقليم نذكر:

4. الشيخ محمد بن أبَّ المزّمري[2]: الذي اشتهر بنظم المنظومات اللغوية في النحو والصّرف والعروض والفقه.

5. الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن[3]: الذي كان عالما متضلعاً في علم النحو والعروض الفقه وعلم المواريث.

6. الشيخ محمد باي بلعالم[4]: الذي نبغ في علوم، وفنون مختلفات؛ وهي علوم القرآن، مصطلح الحديث، الفقه علم النحو المحاضرات، والرحلات...

7. الشيخ الحاج عبد الرحمن الحفصي[5]: له ما يقارب ستة (06) منظومات بين المخطوطة والمطبوعة، أضف إلى ذلك العديد من النصوص في المحضرات والمقالات والردود والفتاوى.

---

[1] – هو يحي بن المعطي بن عبد النور الزواوي أبو الحسين زين الدين، أحد أئمة النحو الأدب شاعر مجيد، أصله من زواوة، ولد سنة 564هـ / 1169م، وتوفي بالقاهرة عام 628هـ/ 1231م، نفسه، ص 187.

[2] – هو أبو عبد الله بن أبّ، بن بكر المزمري نسباً، التواتي مولداً وداراً، ولد في العقد الأخير من القرن الحادي عشر 1094هـ بقرية أولاد الحاج بضواحي مدينة أولف، ولاية أدرار، توفي عام 1160هـ بقرارة، ودفن بتيميمون له: أرجوزة في التّصريف، ينظر: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات،، الشيخ محمد باي بلعام، ج1، (د،ط) (د،ت)، ص89 وما بعدها.

[3] – هو الشيخ السّيد البكري بن عبد الرحمن بن محمد الطيب بن أحمد بن محمد بن عمر التنيلالي أصلاً، ولد بالزاوية البكرية في القرن الثالث عشر هجري 1260هـ، وتوفي في القرن الرابع عشر هجري 1339هـ، ينظر: الرحلة العلية، ج1، ص188.

[4] – عالم من علماء الإسلام، ولد سنه 1930م في قرية ساهل في بلدية أقبلي، دائرة أولف، ولاية أدرار، توفي عن عمر يناهز 79سنه ينظر المنظومات اللغوية في توات، ص 179.

[5] – هو السيد عبد الرحمن الحفصي بن إبراهيم بن عيسى حفصي، من مواليد 1932م بحي تقراف بأولف، ينظر: المنظومات اللغوية في توات، ص 195.

هذا ما يمكن قوله عن المنظومات اللغوية في إقليم توات، أما عن المنظومات الأدبية التي تحكي عن تاريخ الأدب العربي في المغرب العربي، فنجد أرجوزة " ابن الونان التواتي"[1]، التي مدح بها السلطان "محمد بن عبد الله" العلوي. وضمّنها بعضاً من التراث الأدبي. وطريقة عرضها ونظمها تشبه المنظومات اللغوية، لتضمُّنها ألفاظ الغريب في اللغة.

خاتمة: ومما سبق نخلص إلى النّقاط التالية:

1. عُرف فن الأرجوزة منذ عصر ما قبل الإسلام، وأطلق عليه حينها المقطوعات الشّعرية. وتسمى الأرجوزة بالقصيدة، بحكم الطول أو القِصر، أو النوع أو الكم.
2. يصطلح على فن الأرجوزة عدة مصطلحات منها: الشعر التعليمي، المتون، المنظومات اللغوية الشعرية التّعليمية؛ أي (نظم المنثور).
3. يطلق على الأرجوزة في الأدب العربي مصطلح الشعر التعليمي، أو المتون التعليمية، بينما يصطلح عليها في التراث الجزائري القديم المنظومات اللغوية.
4. تأخذ الأرجوزة بنيتها الفنية والموضوعية من الشكل العام للبناء الفني للمعلّقات في عصر ما قبل الإسلام؛ إذ تتكون من: مقدمة، عرض، فخاتمة، إضافة للمطلع.
5. يعد فن الرجز من أكثر الموضوعات الفنية نظماً في التراث الجزائري – إقليم توات – خصوصا والغرض من ذلك: محاولة حفظ العلوم وتسهيلها لطلبة العلم، كما يعد عاملا من عوامل تطور الحركة العلمية والثّقافية في جنوب الجزائر، فقد جاء في شكل منظومات واختصارات وشروحات وتآليف تعليمية أكثر منها علمية.

[1] – هو أحمد بن محمد بن الونان الحميري الفاسي الدار، أبو العباس أديب شاعر، توفي في أواخر القرن الثاني عشر 1187هـ/ 1773م من أشهر آثاره الأرجوزة الشّمقمقية؛ ينظر: معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، عمر كحالة، مادة(أحمد بن الونان)، درا الأحياء التراث العربي، بيروت–لبنان،(د،ط) (د،ت)، ج2، ص155 156.

المصادر والمراجع

1. الأثر التعليمي للرجز، حسن محمد محجوب، سلسلة دعوة الحق، السنة الخامسة والعشرون الإدارة العامة للثقافة والنّشر، العدد 241،1431هـ/2010م.

2. الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1986م.

3. أراجيز العرب، توفيق البكري الصديقي، ط1، (د،ت) 1313هـ.

4. تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النّجار، دار المعارف، (د،ط) (د،ت)، ج1.

5. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات– الجزائر– المغرب الأقصى– موريتانيا– السودان، دار المعارف، (د،ط)، (د، ت).

6. التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط10، د،ت.

7. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الشيخ محمد باي بلعام، ج1، (د،ط)، د،ت.

8. الشعر التعليمي وخصائصه، ونشأته في الأدب العربي، جواد غلامعلي زادة، كبرى روشنفكر مجلة العلوم الإنسانية، العدد 14(2) 1428هـ/2007 م.

9. العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ط1، 1422هـ/2001م.

10. في الشعر العباسي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، 1994م.

11. لسان العرب، ابن منظور(أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي)، دار صادر – بيروت.

12. المدخل إلى الأرجوزة العربية، المهدي لعرج، إفريقيا الشرق– المغرب، ط2011م.

13. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت– لبنان، ط2، 1400هـ/1980م.

14. معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية، عمر كحالة، درا الأحياء التراث العربي بيروت – لبنان، (د، ط) (د،ت)، ج2.

15. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، كامل المهندس، مجدى وهبة، مكتبة لبنان – بيروت، ط1، 1984م.

16. المعجم المفهرس في علم العروض والقافية وفنون الشعر، إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1411هـ 1991م.

17. المنظومات اللغوية في توات(النحوية والصرفية والعروضية) أنموذجاً، مذكرة ماجستير لحبيب أعبللة، إشراف الطاهر مشري، السنة الجامعية 2009–2010م.

المواقع الإلكترونية:

1.موقع الألوكة: مقال خاتمة كتاب بنية الأرجوزة وتلقيها عند العرب، مهدي لعرج.

http://www.alukah.net/Literature_Language/يوم:03/03/2014م.

2.موقع أدباء الشام. مصطلحات فنية (الرجز)، عبد الهادي دحاني، رابطة أدباء الشام09 www.odabaham.net /11/2014م. 16:10د.